

عبادتنا الليتورجية هي ترتيب عقائدنا الإيمانية (الجزء الثاني)

سابعاً: صعود المسيح وجلوسه عن يمين الآب في بعض النصوص الليتورجية وعند بعض آباء الكنيسة

المحتويات

- ١ (١) بعض النصوص الليتورجية عن صعود المسيح إلى السموات، وجلوسه عن يمين الآب
- ٢ (٢) صعود المسيح إلى السماء في فكر آباء الكنيسة
- ٢ البند الأول: صعد المسيح إلى السماء من أجلنا
- ٣ البند الثاني: صعد المسيح إلى السماء ليفتح لنا الطريق الذي كان مغلقاً أمامنا
- ٣ البند الثالث: صعد المسيح إلى السماء لكي يقدمنا في ذاته إلى حضرة الآب
- ٥ البند الرابع: صعد المسيح إلى السماء لنحظى بالتبني لدى الله الآب
- ٥ في الختام: صعد المسيح إلى السماء ليرسل لنا الروح القدس

(١) بعض النصوص الليتورجية عن صعود المسيح إلى السموات، وجلوسه عن يمين الآب

..... القُدَّاسُ الغريغوري

- ”وعند صعودك إلى السموات جسدياً، إذ ملأت الكل بلاهوتك“.
- ”أصعدت باكورتي (المسيح بكر كل خليقة) إلى السماء“.

..... القُدَّاسُ الكيرلسي

- ”كل فكر ردى أرضي، فليبعد عنا من أجل الذي صعد إلى السموات“.

..... صلوات القسمة

- ”رئيس كهنة الخيرات العتيدة، الذي صعد إلى السموات وصار فوق السموات، ودخل داخل الحجاب، موضع قُدس الأقداس، الموضع الذي لا يدخل إليه ذو طبيعة بشرية. وصار سابقاً عنا، صائراً رئيس كهنة إلى الأبد، على رتبة ملكي صادق“.

- ”رفع قديسيه إلى العلي معه، أعطاهم قرباناً لأبيه. بذوقه الموت عنا خلص الأحياء، وأعطى النّياح للذين ماتوا“.
- ”رئيس الملائكة نزل من السماء ودحرج الحجر عن فم القبر، وبشر النسوة حاملات الطيب قائلاً: المسيح قام من بين الأموات. بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية ... وبعد أربعين يوماً صعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه الصّالح“.

(٢) صعود المسيح إلى السماء في فكر آباء الكنيسة

يُعتبر القديس أنثاسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) هو واضع الأسس اللاهوتية والروحانية الثابتة التي سار عليها جميع الآباء اللاحقين له، ومن بينهم وبصفة خاصة، القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م).

• إن أهم ما قاله الآباء بخصوص صعود المسيح إلى السماء، يتركز في أربعة بنود أساسية:
البند الأول: أن المسيح لم يصعد من أجل نفسه هو، بل من أجلنا نحن. لأنه من جهة نفسه باعتباره كلمة الله الأزلي، فهو لم يفارق حضن الآب قط. فبينما كان متجسداً معنا على الأرض قيل عنه: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر» (يوحنا ١: ١٨).

البند الثاني: أن المسيح صعد إلى السماء بالجدس، ليفتح لنا طريق السموات الذي كان مغلقاً أمامنا، ويهبنا إمكانية الصعود معه، باعتبارنا ممثلين في جسده الذي أخذه منا.

البند الثالث: أن المسيح صعد إلى السماء، لكي يقدمنا نحن في ذاته إلى حضرة الآب.

البند الرابع: أن المسيح صعد إلى السماء، لنحظى بالتبني لدى الله الآب.

والجدير بالذكر هنا، أن هذه البنود الأربعة لم يكن من الممكن تحقيقها إلا بسبب الاتحاد الأقنومي في شخص المسيح، أي اتحاد اللاهوت بالتأسوت فيه. فكان هذا الاتحاد في شخص الرب هو الوسيلة التي تحققت بها هذه الأربعة بنود. كما أن هذه البنود الأربعة، هي حق طبيعي للمسيح لكونه ابن الله الواحد مع أبيه في الجوهر. ولكن الجديد الذي حدث، هو أن صعود المسيح إلى السماء بالجدس في هيئة بشرية، قد فتح أمام البشرية كلها هذه الامتيازات، لكي تكون نصيباً لكل الذين يؤمنون بمن أقام يسوع من بين الأموات.

ويُلخص القديس كيرلس الكبير هذه المعاني كلها في عبارة مهمة يقول فيها:
 [إننا فيه ندخل إلى السماء، وفيه نظهر أمام الآب، وفيه أيضاً تتمجد ونُدعى أبناء الله]^(١).

وهو ما سيرد شرحه الآن بأكثر توضيح.

البند الأول: صعد المسيح إلى السماء من أجلنا

عندما كان البابا أنثاسيوس الرسولي يتحدث عن صعود المسيح إلى السماء، في كتابه "تجسد الكلمة ٦: ٢٥" قال إن المسيح كان يحملنا في جسده الخاص، أثناء صعوده، وهو ما نقرأه في البند الثاني والتالي مباشرة.

ويقول البابا أنثاسيوس الرسولي أيضاً:

[كما أننا بموت المسيح مُتنا جميعاً فيه، هكذا أيضاً في المسيح نفسه، نحن جميعاً نرتفع إذ نقوم من الأموات ونصعد إلى السموات: «حيث دخل يسوع كسابق من أجلنا، ليس إلى أقداس شبه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عبرانيين ٦: ٢٠ ؛ ٩: ٢٤). فإن كان المسيح قد دخل الآن إلى السماء عينها من أجلنا، مع أنه كان منذ الأزل وفي كل حين هو رب السموات وخالقها، فمن أجلنا إذاً كتب أن الآب رفعه (فيلبي ٩: ٢) .. فلم يكن ذلك ليرتفع هو نفسه، إذ أنه في ذاته هو الله العلي، ولكن ليصير لنا براً، ويرفعنا نحن فيه، فندخل أبواب السماء] (ضد الأريوسيين ١: ٤١-٤٣).

ويقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[كما يُقال عنه إنه مع كونه الحياة بطبعه قد مات وقام أيضاً من أجلنا ... فصعودنا إلى السماء كان هو الشئ الوحيد الأخير الذي كان لا يزال ناقصاً في تدبيره من أجلنا، لذلك فقد صعد المسيح إلى السماء، كباكورة وكبدء للذين يصعدون، لأنه قد صعد إلى هناك «كسابق من أجلنا» (عبرانيين ٦: ٢٠) كما أوحى أيضاً إلى بولس نفسه ... فلماً كانت رسالة الرب على الأرض قد تكملت، كان من الواجب أن يكمل أيضاً هذا الشئ الأخير، وهو الصعود إلى الآب، ولذلك قال: «إنه خير لكم أن أنطلق» (يوحنا ١٦: ٧) (شرح إنجيل يوحنا ١٦: ٧).

البند الثاني: صعد المسيح إلى السماء ليفتح لنا الطريق الذي كان مغلقاً أمامنا

يشرح القديس أناسيوس الرسولي، أن الرب كان يحملنا في جسده الخاص، أثناء صعوده إلى السماء، فيقول: [لقد فتح الرب لنا من جديد، الطريق الصاعد إلى السموات، كما قال: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية» (مزمو ٧: ٢٤ / سبعينية). لأنه لم يكن الكلمة نفسه المحتاج لانفتاح الأبواب إذ هو رب الكل، ولم يكن شيء من المصنوعات مغلقاً أمام خالقه، ولكننا نحن الذين كنا في حاجة إلى ذلك، نحن الذين كان يحملنا في جسده الخاص. فكما أنه قدّم جسده للموت نيابة عن الجميع، هكذا أيضاً بواسطته (أي بواسطة هذا الجسد) قد أعدّ من جديد الطريق الصاعد إلى السماء] (تجسد الكلمة ٦: ٢٥).^(١)

ويقول أيضاً في موضع آخر:

[قبل أمامه: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية، فیدخل ملك المجد». على أن الأبواب لم تكن مغلقة في وجهه قط إذ هو رب الكل وخالق الكل، بل هذا أيضاً كتب من أجلنا نحن الذين كان باب الفردوس مغلقاً في وجهنا. ولذلك فعلى مستوى بشريته بسبب الجسد الذي لبسه قيل عنه: «ارتفعي أيتها الأبواب الدهرية لیدخل ...»، وكان الداخل هو إنسان. ثم من جهة أخرى على مستوى لاهوته، بسبب أن الكلمة هو الله، قيل عنه إنه هو «الرب ملك المجد»] (ضد الأريوسيين ١: ٤٢، ٤٣).

وعندما كان القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) يشرح قول الرب قبل صعوده: «في بيت أبي منازل كثيرة. إلا فيني كنت قد قلت لكم إني أمضي لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتياً أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يوحنا ١٤: ٢، ٣) فيقول:

[لو لم تكن المنازل كثيرة في بيت الله الآب، لكان يقول إنه يسبقهم ليعد مساكن القديسين. ولكنه إذ كان يعلم أنها كثيرة ومعدة لاستقبال الذين يحبون الله، لذلك يقول: إنه لن يمضي لهذه الغاية، بل ليهيئ لهم الطريق إلى المنازل العلوية ويضمن لهم عبوراً أميناً، ويمهد لهم السكة التي كانت مغلقة منذ الأيام القديمة. لأن السموات كانت مغلقة تماماً أمام الإنسان المات، ولم يجتاز جسد قط إلى محفل الملائكة الأطهار القديسين

فالمسيح كان أوّل من افتتح لنا إمكانية الاقتراب إلى هناك، وهياً للبشر طريق الدخول إلى السموات. لأنه رفع نفسه قرباناً لله أبوه، كباكورة الرأقدين والمضطجعين في القبور، وكبدء البشرية الجديدة الظاهرة لأول مرة في السموات] (شرح إنجيل يوحنا ١٤: ٢).

البند الثالث: صعد المسيح إلى السماء لكي يقدمنا في ذاته إلى حضرة الآب

من تعليم القديس أناسيوس الرسولي، نعرف أن أهمية جسد الرب بالنسبة لصعودنا نحن، تأتي من كونه جسداً مأخوذاً من أجسادنا. فهو بالتالي يمثلنا تماماً. وما يتم فيه، ينبغي أن يُعمّم على الجنس البشري كله^(٣).

ثم أنه من حيث أنه صار جسداً للكلمة الحقيقي الكائن منذ الأزل في حضن الآب، فقد كان من حقّه الطبيعي أن يصعد

ويدخل إلى حضرة الآب، كباكورة للبشرية، وسفيراً عنها أمام الآب.

فيقول البابا أثناسيوس الرسولي:

[لم يكن إنسان يستطيع أن يدخل إلى حضرة الآب، ما لم يكن هو نفسه الكلمة الحقيقي ابن الآب الطبيعي، وقد لبس جسداً] (تخسّد الكلمة ٥:٧).

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[قد صعد (الابن) إلى السماء «لكي يظهر الآن أمام وجه الله الآب من أجلنا» (عبرانيين ٩:٢٤). ولم يكن ذلك في الواقع لكي يُقدّم نفسه هو أمام نظر الآب، لأنه قائم فيه منذ الأزل، ولم ينفصل قط عن الآب، لكونه إلهاً. بل هذا كان بالحري لكي يُقدّمنا نحن في ذاته إلى حضرة الآب. نحن الذين كنّا مطروحين بعيداً عن وجهه، وواقعين تحت الغضب بسبب معصية آدم، وبسبب الخطيئة المتسلطة علينا. إذا، فنحن في المسيح، نربح الوجود أمام وجه الله، بل وصرنا منذ الآن مؤهلين لهذه المعايينة، بسبب أنه قدّسنا] (العبادة بالروح والحق ١٧).

يقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[لما رجع الرب إلى الحياة، وقدّم نفسه لله كباكورة للبشرية، حينئذ بكل تأكيد، تحوّلنا نحن أيضاً إلى حياة جديدة] (جلافيرا على سفر العدد).

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م):

[فلنتهلل جميعاً ناظرين إلى باكورة جنسنا جالساً في العلاء، وإلى طبيعتنا (في المسيح) وقد اعتلت العرش عن يمين الله! ... تأمل، أيها الحبيب، إلى أي حد صار صلاح إلهنا وتديره الذي لا يُنطق به من نحو جنسنا، الذي كان قد سقط من الفردوس بغواية إبليس، وحُكم عليه. تمثل تلك اللعنة الشاملة، إلى أيّ علوٍ رفعنا، وكيف نحن الذين كنّا سابقاً غير مستحقين للأرض، اليوم ارتفعنا إلى السماء] (عظة في عيد الصعود)^(٤).

ويؤكد البابا أثناسيوس على هذا بقوله:

[بواسطة ناسوت الرب، قد صار لنا القُدوم إلى الآب. لأنه هو الطريق الذي يُرجعنا إلى الآب. فالطريق شيء مادي منظور كمثل ناسوت الرب] (إقرار الإيمان NPNF., IV, p. 85).

وواضح هنا، أنّ القديس أثناسيوس الرسولي يعتمد على ما جاء في رسالة العبرانيين: «طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب، أي جسده» (عبرانيين ١٠:١٩).

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[كما أنه بقيامته قد جدّد فينا قوّة الانفلات من الفساد، هكذا أيضاً (بصعوده) استحسّن أن يفتح لنا طريق السموات، وأن يُدخل إلى حضرة الآب، الجنس البشري الذي كان قد طُرد من وجهه بسبب معصية آدم].

وهكذا دخل المسيح إلى الأقداس، لبراءة أمام الآب، بدم نفسه (عبرانيين ٩:١٢) أي بجروحه التي احتفظ بها الرب بعد قيامته من بين الأموات، كوضع استثنائي ومقصود، إذ لم تكن جروح عقاب، بل علامة مجد، وأمّا لنا فعلامه رجاء حيّ، تثبيتاً لإيماننا بأنه هو نفسه الذي صُلب لأجلنا، وعلامة حبه الأبدي^(٥).

وهكذا فإنّ أعمق معنى لظهور الرب أمام الآب لأجلنا، هو أنّ المسيح «بدم نفسه دخل مرّة واحدة إلى الأقداس، فوجد

فداءً أبدياً» (عبرانيين ٩: ١٢). أي قد صار لنا الخلاص الأبدي بتقديم المسيح لحبه إلى الآب من أجلنا، بالدم الذي سَفَكَ على الصليب عن خلاصنا. هنا يبلغ فداؤنا غايته، وهنا يبلغ خلاصنا منتهاه، فداءً أبدياً لكل من يؤمن بالمسيح إلهاً ومخلصاً.

وهكذا صار المسيح وحده هو الكاهن والذبيحة والمذبح في آن معاً^(٦). هو مقدّم الذبيحة والضامن لقبولها لدى الآب، وهذه هي أقوى شفاعته يمكن أن تُقدّم إلى الآب من أجلنا «من هو الذي يدين؟ المسيح ... الذي هو عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا» (رومية ٨: ٣٤). وهذا لم يكن يحدث لولا الاتحاد الأَقنومي في شخص المسيح، والذي بسببه أمكن للمسيح أن يكون شافعاً عن البشرية بسبب اتحاده بنا، والقاضي والديان بسبب وحدته مع الآب.

البند الرابع: صعد المسيح إلى السماء لنحظى بالتبني لدى الله الآب

يقول القديس كيرلس الكبير أيضاً:

[الكلمة الذي كان قديماً مجرداً من الجسد البشري، قد صعد الآن في هيئة بشرية لكي يظهر في السموات في وضع جديد وغير مألوف. وقد فعل ذلك من أجلنا ولصالحنا نحن، حتى أنه «إذ يوجد في الهيئة كإنسان» (فيلبي ٨: ٢)، وهو لم يزل في حقيقته محتفظاً بقدرته الكاملة كابن الله، وإذ يسمع هو في هيئة إنسان الدعوة القائلة «اجلس عن يميني»، ينقل بذلك مجد التبني من خلال نفسه إلى كل جنس البشرية. لأنه من حيث أنه ظهر في هيئة بشرية، فهو يُحسب كواحد منّا (أي كغائب عنّا) في جلوسه عن يمين الله الآب، على الرغم من أنه فائق تماماً لكل خلقية، وأنه واحد في الجوهر مع أبيه من حيث خرج منه كنور من نور، وإله حق من إله حق ... فهو يجلس عن يمين الله كابن، لكي يجعلنا نحن أيضاً من خلاله نُدعى أبناءً وأولاداً لله ... «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح» (أفسس ٦: ٢) ... ولكن من حيث أن المسيح الجالس عن يمين أبيه هو مشابه لنا في كل شيء بسبب ظهوره في الهيئة كإنسان - مع أننا نؤمن أنه لم يزل إلهاً من إله - لذلك يتضح أن هذا الامتياز قد انتقل إلينا نحن أيضاً بنوع ما. فحتى وإن كُنّا لن نجلس عن يمين الآب نفسه - لأنه كيف يمكن للعبد أن يرتقي إلى كرامة مساوية لكرامة سيّدة؟ - إلا أن المسيح قد وعد تلاميذه القديسين أنهم سوف يجلسون على كراسي إذ قال: «متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً، تُدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» [تفسير إنجيل يوحنا ١٤: ٢، ٣].

في الختام: صعد المسيح إلى السماء ليرسل لنا الروح القدس

هذا هو الختام النهائي لتدبير الخلاص، الذي أكمله المسيح من أجلنا. لأنه بدون سكنى الروح القدس فينا، والذي نأخذه في المعمودية المقدسة، ومسحة الميرون المقدس في الكنيسة، لا نقدر أن ننال شيئاً ممّا منحه المسيح لنا بتجسده وموته وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين الآب.

وهو ما سنتكلّم عنه في الموضوع التالي مباشرة، وهو عن حلول الروح القدس على التلاميذ وعلمنا في يوم الخمسين في فكر آباء الكنيسة.